

عمل الروح القدس فى الكنيسة الاولى بقوة. وكانت الكنيسة آلة طيعة فى يد الروح، فعمل بها عجباً.. وكان من ثمار عمله صفحة الاستشهاد المشرقة، ولشرح هذا نقتبس من كتاب

"الإستشهاد فى المسيحية"

لمثلث الرحمات المتنيح الأنبا يوانس

أسقف الغربية

مَنْ هُوَ الْمَسِيحِي

" على نحو ما توجد الروح فى الجسد، هكذا المسيحيون فى العالم... الروح كائنة فى الجسد، لكنها ليست منه، والمسيحيون مقيمون فى العالم، لكنهم ليسوا من العالم. الجسد المنظور يغلف الروح التى لا ترى، والمسيحيون كائنون فى العالم، لكن صلاحهم يظل مخفياً. الجسد يبغض الروح ويحاربها، لكن الروح تحب الجسد الذى يبغضها... وهكذا المسيحيون يحبون من يبغضونهم.

" الروح الخالدة تسكن فى خيمة مائتة، والمسيحيون يحيون كغرباء فى أجساد قابلة للفساد، متطلعين الى مسكن لا يفنى فى السموات... بحرمان الإنسان من المأكل والمشرب تتحسن حالة روحه، والمسيحيون كلما تعرضوا للآلام والعذابات، ازدادوا عدداً.

" الا ترى المسيحيين يتعرضون للوحوش المفترسة لينكروا الههم، ومع ذلك لم يقهروا؟

" الا ترى أنه كلما كثر عدد من يعذب منهم كثرت البقية الباقية؟

" يبدو أن هذا ليس من صنع الناس، بل هى قوة الله " (*)

مفهوم جديد للألم

الحب والألم:

المسيحية هى ديانة الحب... الحب الخالص، الحب الباذل... الحب الذى يستهين

(*) من الرسالة الى ديوجنيتس Diognetus فصل 5، 6، وترجع الى أواخر القرن الاول أو أوائل الثانى.

بكل شئ، ويتخطى كل الصعاب، ويصبر على كل الضيقات.

والمسيحية هي ديانة الحب... فالهها هو الحب ذاته (1يو 4:8)، ويتميز أتباعها عن غيرهم بالمحبة (يو 13:35)، حتى أن من يثبت في المحبة يثبت في الله، والله يثبت فيه. وكل من لم يعرف المحبة، لم يعرف الله (1يو 4:8).

وإذا كانت المسيحية هي المحبة في أبهى صورها، فهي أيضا الألم في مفهوم جديد، ومذاق جديد، لغرض جديد...

هكذا صار الصليب علامة المسيحية وفخرها، وعنوان التلمذة المسيحية، وسر قوتها ومجدها. بل صار شرطا أساسيا للتلمذة للرب " ان اراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني " (مت 16:24).

في شخص رب المجد يسوع، سعى الحب نحو الألم، ليستخلص من برائته من إقتنصهم، ويحرر من سلطانه من سباهم وأذلهم... وهكذا تغير مفهوم الألم في المسيحية، وتغيرت مذاقته، وأصبح صليب الألم شعار المجد والغلبة والنصرة، بل الموصل اليها. وصدق من قال " أينما وجد الصليب وجدت المحبة، لأنه هو علامة الحب الذي غلب الموت وقهر الهاوية، واستهان بالخزي والعار والألم "...

الألم هبة روحية:

هكذا - بالمسيح وفيه - تبدلت صورة الألم وفعاليتها ومذاقته، فارتفع الى مستوى الهبة الروحية " وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أن تتألموا أيضا " (في 1:29)... والرب يسوع يحصى الضيقات ضمن البركات التي يعوض بها، كل من ترك مقتنياته وتبعه (مر 10:28-30).

شركة مع الرب:

لقد غدا الألم في مفهومه الجديد، شركة مع الرب المتألم " ان كنا نتألم معه، لكي نتمجد أيضا معه " (رو 8:17)... " لأعرفه وقوة قيامته، وشركة آلامه متشبهها بموته " (في 3:10)... وأيضا قول الرسول بولس " أكمل نقائص شذائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة " (كو 1:24).

لذة الألم:

وهكذا أضحي الألم متعة روحية، وغدا الموت كأسا لذيذا يرتشفها المؤمن. سعيدا راضيا، ويسعى إليها جاهدا عن حب، بل ويسأل الله مصليا يتعجلها... ولا عجب، فقد تحول الموت من شئ مرعب مخيف، الى صديق محبوب أليف...

وفى مجال تغير المفاهيم الروحية، أضحت الحياة الدنيا قصيرة المدى، غربة وقتية، وثوبا باليا يرنو المؤمن الى خلعه ليلبس عوضا عنه ثوبا لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل (1بط4:1).

قمة الحب:

لا عجب اذن، ان ظفرت المسيحية بسجل حب حافل، حوى أسماء لا تحصى من المؤمنين المحبين... وقد عبر كل عن حبه بطريقته الخاصة، و بقدر ما استطاع الى ذلك سبيلا... ونستطيع أن نميز من هؤلاء صنفين صنفا حمل صليبه وسار في طريق الجلجثة، والصنف الآخر أبى الا أن يعتلى صليبه متشبا بسيدته، مقدما ذاته قرباناً ظاهرا مقبولا على مذبح الحب والبذل، فاستحق أن تعلق صليبه كلمات حبيبه ومخلصه " ليس حب أعظم من هذا " (يو15:13).

وإذا كانت المسيحية هي الحب، فالموت فى سبيلها هو قمة الحب والبذل... بهذه النظرة المقدسة الفاحصة نظر المؤمنين فى كل أجيال المسيحية إلى الموت.. وبهذه النظرة التى ملؤها التقدير والتقدير والتكريم، نظرت الكنيسة المسيحية الى الاستشهاد والشهداء فى كل تاريخها...

المسيحية والاضطهاد صنوان:

والاضطهاد يسير مع المسيحية جنبا الى جنب... يسير فى ركابها، بل ويتصدى لها، محاولا عرقلة طريقها، ككنيسة وكأفراد...

وليس الاضطهاد مُنصباً على فئة معينة أو زمان معين، فجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون (2تى3:12).

" للرب حرب مع عماليق من دور الى دور " (خر16:17)... هذا الاضطهاد يصل أحيانا الى الذروة - الى الموت - وهو ما يعبر عنه بالاستشهاد...

من هو الشهيد؟

الكلمة اليونانية *martyr* التى يقابلها فى العربية " شهيد "، استخدمت فى أصلها اللغوى للتعبير عن انسان لديه معلومات عن أحداث سابقة مستقاة عن طريق الاشتراك فيها، لكنه لا يحتفظ بهذه المعلومات لنفسه، بل يشهد بها...

وقد أطلقت هذه الكلمة أولا على الرسل كشهود حياة السيد المسيح وقيامته (اع1: 8، 22). لكنها استخدمت فيما بعد - مع اتساع دائرة الاضطهاد - للتعبير عن أولئك الذى احتملوا شدائد من أجل الإيمان. وهؤلاء هم من تعبر عنهم الكنيسة حاليا بكلمة " المعترفين ". وأخيرا خصصت فقط للذين أقتبلوا الموت لأجل الإيمان. وهذا

الاستخدام الأخير هو المعروف الآن⁽¹⁾.

وفي اللغة العربية، نجد أن الفعل " استشهد " فى معناه الاصطلاحي، يعنى أنسانا قتل فى سبيل الله. أما المعنى الاشتقاقي الفقهي، فالاستشهاد مشتق من الشهادة. واستشهد بمعنى سئل الشهادة، أو طلب للشهادة. والمقصود بالشهادة هنا: هى الشهادة للإيمان الذى يدين به، ويؤد عنه.

مأساة طويلة...

وتؤلف الاضطهادات التى حاقت بالمسيحية منذ ظهورها مأساة طويلة بدأت بالسيد المسيح نفسه وامتدت الى اتباعه... وكان وسط مشاهد الكراهية الشيطانية، والقسوة البالغة، تظهر الفضيلة المحتملة تشع ببريق أصالتها... وكان بين الحين والحين يتخلل هذه المشاهد فترات هدوء أو راحة قصيرة. وأخيرا شنت الوثنية هجمات مرعبة، وابتدت مقاومة يائسة للحياة أو الموت، انتهت بالظفر النهائى للمسيحية... وكأنى بالكنيسة قد اصطبغت بهذه المعمودية الدموية، بعد أن ولدت فى العالم...!

ولسهولة الدراسة سنقسم الاضطهادات التى حاقت بالكنيسة المسيحية - وهو ما يعيننا فى هذا البحث - الى مرحلتين:

أ- اضطهاد اليهودية للمسيحية.

ب- اضطهاد الوثنية للمسيحية.

اضطهاد اليهودية للمسيحية

" اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وواضداد لجميع الناس ... قد أدركهم الغضب إلى النهاية ".

(1تس 2: 15، 16)

لم يقبل اليهود المسيح الها ومخلصا وملكا، على الرغم من انتظارهم إياه وتوقعهم مجيئه... لم يستطيعوا التعرف عليه وهو بالجسد، إذ رأوه وديعا متواضعا، لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته... وعلى الرغم من أن أنبياءهم سبقوا وأنبأوا بسلوكه الوديع الهادئ المتواضع، وبكل صفاته (أش42: 2، 3، ص53، زك9: 9). لكن روح التمرد والكبرياء كانت تعتمل فى داخلهم، فأعمت عيونهم، وأصمت آذانهم، وأثقلت قلوبهم، فقتلوا الأنبياء ورجموا المرسلين إليهم (مت23: 37)، ولم يستطيعوا أن يروا فى المسيح بالجسد ملك إسرائيل... لقد كانت

(1) The Oxford Dictionary of Christian Church, p. 866.

أفكارهم متعلقة بالزمنيات والماديات. هم أرادوا زعيما يحررهم من نير الرومان، ويملك عليهم ملكا زنيا كملك داود. ولذا، فحينما كلمهم المسيح عن شخصه المبارك، وأنه يحررهم من عبودية الخطية، ويملك عليهم ملكا روحيا... رفضوه، ولم يحاولوا أن يفهموه، واستمروا فى عنجهيتهم، إنهم ذرية إبراهيم ولم يستعبدوا لأحد قط (يو:8:33)... ولعل هذه هى مشكلة إسرائيل حتى اليوم... الملك المادى الزمنى!!... وأخيرا قام اليهود على المسيح وقتلوه متحملين قصاص جريمتهم، هم ونسلهم من بعدهم " دمه علينا وعلى أولادنا " (مت:27:25).

لا عجب أن تصدى اليهود لاتباع السيد المسيح، محاولين استتصال شأفتهم. وقد سلكوا فى سبيل إشباع روحهم العدائية، ثلاثة سبل، واتبعوا ثلاثة أساليب، تتمشى مع تاريخهم... فحين كانوا يملكون القوة والسلطان سلكوا السبيل الانتقامى، بالتعذيب والقتل. وحيث كانت تعوزهم القوة والسلطان، كانوا يسلكون مسلكا دنيئا بالوشاية لدى السلطات، واثارة الجماهير. وبعد أن ولت عنهم هذه وتلك لجأوا للأسلوب الخداعى عن طريق المقاومة الفكرية...

ونود الإشارة الى أنه نظرا لندرة المصادر التاريخية الموثوق بها - خلاف كتاب العهد الجديد - عن العصر الرسولى، فإن اعتمادنا الاكبر سيكون على أسفاره..

أولا : المسلك الانتقامى

وأسفار العهد الجديد مشحونة بأمثلة تعذيب اليهود للمسيحيين وقتلهم:

مع الرسل:

• قبض الكهنة والصدوقيون على بطرس ويوحنا عقب شفاء المقعد من بطن أمه، وحبسوهما ثم أطلقوهما بعد أن هددوهما (أع3،4).

• مرة أخرى قام رئيس الكهنة ومعه الصدوقيون وحبسوا الرسل جميعا، لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلا وأخرجهم، وانطلقوا الى الهيكل وبشروا الشعب. فاغتاظوا وأخذوا يتشاورون ليقتلونهم. لكنهم اكتفوا بجلدهم وتهديدهم بعد تدخل عمالائيل، وكان فريسيا معتدلا (أع5).

شاول الطرسوسى وجهوده ضد المسيحيين:

• ولعل شاول الطرسوسى (بولس الرسول قبل اهتدائه)، يمثل لنا اليهودى المتعصب أصدق تمثيل... استعرض هو بنفسه سيرته الاولى، وغيرته الهوجاء أمام الملك أغريباس فى قيصرية، بينما كان مسجوناً فيها لاجل المسيح، قال " أنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى. وفعلت ذلك

أيضا في أورشليم. فحبست في سجون كثيرين من القديسين، أخذوا السلطان من قبل رؤساء الكهنة. ولما كانوا يقتلون، القيت قرعة بذلك. وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطرهم الى التجديف. واذ أفرط حنقى عليهم كنت اطردهم الى المدن في الخارج... " (أع 9:26-11).

• وفي أورشليم قال بولس للجمع الهائج ضده " أيها الرجال الاخوة والآباء... كنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة، الذين اذ اخذت أيضا منهم رسائل للأخوة الى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك الى أورشليم، مقيدين لكى يعاقبوا " (أع 22:1-5)... ولقد اشترك أيضا فى قتل اسطفانوس أول شهداء المسيحية (أع 8: 22، 1: 8).

بولس المضطهد:

• ولما تحول شاول المقاوم الى بولس أسير يسوع المسيح، اقتبل من اليهود خمس مرات، أربعين جلده الا واحدة (2كو 11:24).

• وفي احدى المرات امسكه اليهود وجروه خارج الهيكل لكى يقتلوه، لولا أن لسياس أمير الكتيبة الرومانية التى فى أورشليم، أنقذه من أيديهم، و قيده بسلسلتين (أع 21: 30-33).

• ولقد بلغت كراهية اليهود للمسيحيين عامة، وله هو خاصة، حدا دفع أكثر من أربعين يهوديا أن يتعاهدوا ألا يذوقوا طعاما أو شرابا حتى يقتلوا بولس. وتم هذا التعاقد بالاتفاق مع رؤساء الكهنة (أع 23).

باكورة من الشهداء:

ومن أشهر شهداء هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة، الذين قتلهم اليهود: إستفانوس رئيس الشماسة الذى رجموه حوالى سنة 36 أو سنة 37م (أع 8)، ويعقوب الكبير (أبن زبدى) الذى قتله هيرودس بالسيف سنة 44م (أع 12: 2)، ويعقوب الصغير أسقف أورشليم (أخو الرب) الذى رجموه حوالى سنة 63م، وسمعان أسقف أورشليم الذى صلب سنة 107م.

عصيان باركوكبا:

على ان هناك مصائب واضطهادات حلت بالمسيحيين أثناء ثورة باركوكبا Bar-Cochba (أى ابن الكوكب)، وهو مسيح كذاب أعلن عصيانا مسلحا قويا ضد الدولة الرومانية فى الفترة من (132-135م) على عهد الامبراطور هديران. وقد

قتل جميع المسيحيين الذين لم يشتركوا في حركته. وقد انتهى امره بالهزيمة الشنيعة بعد مقاومة يائسة، ذبح منها نحو نصف مليون يهودى. كما سبقت أعداد ضخمة منهم عبيدا الى روما، وهدمت 985 قرية يهودية، وخمسون قلعة، وخربت معظم فلسطين، وتحطمت اورشليم ثانية. و محى اسمها. وأقيمت على أنقاضها المستعمرة الرومانية ألياكابتولينا " Aelia Capitolina بصورة الاله جوبتر ومعبد للالهة فينوس وكنتيجة لهذا العصيان منع اليهود من زيارة هذه البقعة المقدسة. والا عرضوا أنفسهم لعقوبة الموت. وكان يسمح لهم بالنظر اليها من مسافة بعيدة وينتخبون عليها فى التذكار السنوى لهدمها. (1)

ثانيا: مسلك الوشاية واثارة الجماهير

وهو مسلك دنيء تميزوا به فى أسفار العهد الجديد، وكانوا يلجأون اليه حينما كانت تعوزهم الفرصة للفتك بخصومهم واضطهادهم:

من أمثلة الوشاية:

• ما فعلوه مع استفانوس رئيس الشمامسة. إذ لم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به، حينئذ دسوا لرجال يقولون اننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله، وهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة... وأقاموا شهودا كذبة يقولون عن استفانوس انه لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس والناموس (أع6:9-14).

• كما سعوا بالقديس بولس لدى والى الحارث الملك فى دمشق، فأحكم مراقبة أبواب المدينة نهارا وليلا بقصد القبض عليه وقتله، لولا أن الاخوة المؤمنين دلوهم من طاقة فى زنبيل من سور المدينة (أع9:23-25، 2كو11: 32، 33).

• وفى أنطاكية ببسديده - بعد ان آمن كثيرون بسبب كرازة بولس وبرنابا - حرك اليهود، النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة، ضد الرسولين وأخرجوهما من تخومهم (أع13: 50).

• وفى تسالونيكى تقدم اليهود الى الوالى بوشاية ضد المسيحيين قائلين " المسيحيون الذين فتنوا المسكونة، حضروا الى هنا أيضا... وهؤلاء كلهم يعلمون ضد أحكام قيصر، قائلين انه يوجد ملك آخر اسمه يسوع. فأزعجوا الجمع وحكام المدينة إذ سمعوا هذا " (أع 17:6-8).

(1) Schaff, Vol. 2, P. 37.

• وفى عهد الإمبراطور دومتيان (81-96) أطلقوا إشاعة مؤداها، ان المسيحيين لهم أطماع سياسية، الأمر الذى دفع الامبراطور الى التفكير فى إبادة ذرية داود الأحياء. فأرسل وأحضر من فلسطين اثنين من أقارب الرب يسوع بالجسد، وهما حفيدا يهوذا المدعو أخوا الرب. لكن ما أن اطلع الامبراطور على فقرهم، ولمس بساطتهم وسمع منهم عن معنى ملك المسيح وأنه ليس ملكا أرضيا عالميا بل سماويا روحيا حتى أخلى سبيلهم⁽²⁾.

• وبعض الاتهامات الخطيرة التى راجت ضد المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (قتل طفل وزنا بالمحارم فى اجتماعات المسيحيين السرية المسائية) والتى كانت سببا فى ثورة جماهير الوثنيين ضدهم كان اليهود هم مصدرها⁽³⁾.

من أمثلة اثارة الجماهير:

• فى ايقونية - بعد أن آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين - هيج اليهود غير المؤمنين المدينة كلها، ورتبوا هجوما لرجم بولس وبرنابا، فهرب الرسولان الى مدينتى ليكاونية لسترة ودرية والى الكورة المحيطة. (أع14: 1-6).

• وفى مدينة لسترة بعد أن شفى بولس المقعد من بطن أمه، اندفع الناس بحماس شديد ليكرموه هو وبرنابا. ووصل الامر بالناس الى القول أن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا. لكن بعض اليهود الذين أتوا من أنطاكية وأيقونية، هيجوا الناس ضد بولس فرجموه، وجروه خارج المدينة ظانين انه قد مات (أع14: 8-19).

• وبلغوا من حماسهم ضد بولس أو ضد المسيحية فى شخصه، أنهم كانوا ينتقلون من مدينة الى أخرى ليثيروا الناس ضده، كما حدث حينما انتقل بعض اليهود من تسالونيكي الى بيريه لهذا الغرض (أع17: 13).

• كما قاموا فى مدينة كورنثوس بشغب عظيم ضد بولس واقتادوه الى كرسى الولاية (أع18: 12).

• وكان لهم نشاط خاص فى حرق بوليكاربوس أسقف أزمير حينما حرضوا الوثنيين ضده وزادوا من عنفهم بافترائهم على المسيحيين.

• وعلى مر العصور كانوا لا يتركون فرصة تسنح لهم الا وينتهزونها لأعمال الاثارة ضد المسيحيين. ومن أمثلة ذلك دورهم الذى قاموا به فى الاسكندرية تحت حكم الامبراطور ديسيوس (249-251) فى مدة رئاسة البابا ديونيسيوس

(2) Watson: Defenders of the Faith, pp. 15, 16.

(3) Justin Martyr: Dialogue C. 17, Origen: Contra Celsum 6:27.

ثالثاً: المقاومة الفكرية

بعد حريق الهيكل وخراب أورشليم مرتين على يد الرومان ، لم تسنح لليهود فرصة لاضطهاد المسيحيين اضطهاداً قائماً بذاته. على أن هذه الكوارث التي حلت بهم حطمت قوتهم القومية، لكنها لم تحطم كراهيتهم للمسيحية. فاستمروا فى اشارة الافتراءات على الرب يسوع وأتباعه... أما الوسيلة التي اتبعوها فهي التعليم عن طريق المدارس وقد قامت هذه المدارس بدور فعال فى تشويه المسيحية ومسخها وتوجيه المطاعن اليها. ومن أمثلة ذلك، ما قامت به مدارس اليهود فى طبرية وبابل فى تغذية الروح العدائية ضد المسيحية...

وهكذا نجد التلمود فى جزئه الاول المعروف باسم " المشنا Mishna " ، والذى جمع أواخر القرن الثانى الميلادى، فى جزئه الثانى المعروف باسم " الجمارا Gemara " والذى جمع فى القرن الرابع المسيحى، يعكس لنا فى وضوح يهودية تلك الايام، وكيف أنها قاومت المسيحية عن طريق التعليم (5)

وقد اهتمت الكنيسة بمقاومة هذا المسلك الفكرى العدائى اليهودى. وأقدم ما وصل الينا عن هذا الخصوص:

أ - ما كتبه أحد اليهود المنتصرين ويدعى ارسطو من قرية بلا Pella وهى التى لجأ اليها المسيحيون من أورشليم قبيل خرابها الاول سنة 70 م، و سماه " حوار جاسون وبابسكوس Jason and Papiscus بخصوص المسيح ". ويرجع الى النصف الأول من القرن الثانى. وينتهى باقتناع بابسكوس اليهودى وعماده على يد جاسون المسيحى.

ب - حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو Trypho اليهودى فى مدينة أفسس ويقع فى 142 فصلاً. كتبه حوالى منتصف القرن الثانى. وفيه يفند يوستينوس كل ادعاءات اليهود وافتراءاتهم. ويبين أن اليهودية لم تكن سوى مقدمة للمسيحية وأن اليهود وفقاً للعهد القديم عليهم أن يؤمنوا بالمسيح (6).

ج - ما كتبه ترتليانوس ضد اليهود Adversus Judaeos والاتهامات الأخلاقية التى راجت ضد المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (قتل طفل - زنا المحارم فى اجتماعاتهم) والتى كانت سبباً فى ثورة جماهير الوثنيين ضدهم، كان

(4) منسى القمص: تاريخ الكنيسة القبطية ص 113

(5) Schaff, vol. 2, p. 38, 39.

(6) Schaff, vol. 2, p. 107-109.

اليهود هم مصدرها. وقد ذكر ذلك اوريجينوس ويوستينوس (7).

ومن أساليب الخداع التي انتهجتها اليهودية عبر الاجيال، محاولتها الاساءة الى المسيحية والنيل منها ليس عن طريق مهاجمتها من الخارج هجوما سافرا، بل باستحداث بدع في اطار المسيحية، تنادى بتعاليم هرطقية تهدم بها المسيحية وتنال منها. وفي أمثال هذه الحالات يكون خصم المسيحية الذى يسيء اليها يهوديا يلبس ثيابا مسيحية، حتى ما يسهل عليه التسلل الى داخل الكنيسة فى هدوء.. وكتجسيد لهذا الاسلوب الخداعى فى العصر الحالى، ظهر السبتيون وشهود يهوه وغيرهم.

الشهداء الحميريون العرب

وحمير أو بلاد الحميرين هي المعروفة حاليا ببلاد اليمن، وتقع فى جنوبى شبه الجزيرة العربية. عرفت بعدة أسماء. دعيت بلاد "سبأ" كما دلت على ذلك الآثار المكتشفة بها. ودعيت بلاد الهند (الهند) كما يذكر ذلك المؤرخ الكنسى يوسابيوس القيصرى. كما دعيت باسم بلاد " الحبشه " أما السبب فى هذه التسميات فترجع الى لون بشرة سكانها التى تميل الى السواد. ومن أشهر مدنها: سبأ، ومأرب، وظفار، ونجران، وحضرموت، وذى ريدان. وقد لقب ملوك الحميريين بملوك سبأ.

المسيحية فى بلاد حمير (اليمن):

دخلت المسيحية تلك البلاد فى بداية ظهورها. فقد ذكر بعض آباء ومعلمى السريان، أن الخصى الذى عمده فيليبس المبشر (أع8)، كان وزيرا لكنداكة ملكة الحبشة. والمقصود ملكة سبأ. وهكذا فإن ذلك الوزير كان حميريا لا حبشيا. ويقول بعض المؤرخين - ومنهم يوسابيوس القيصرى - أن القديس برثولماوس الرسول كان أول من بشر بها وببلاد الحجاز، وعمد كثيرين من سكانها خاصة من اليهود، وترك لهم نسخة من أنجيل متى، وجدها عندهم بنتينوس مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية حينما زار تلك البلاد فى القرن الثانى الميلادى. وقد انتشرت المسيحية فى تلك البلاد، لا سيما فى نجران و ظفار ومأرب وحضرموت. بل أصبحت مركز ايبارشية فى أوائل القرن السادس. وكان الحميريون المسيحيون على العقيدة الارثوذكسية.

اضطهاد المسيحيين الحميريين (اليمنيين):

اشار هذا الاضطهاد سنة 523 م مسروق أو ذو نواس الذى اعتنق الديانة اليهودية وارتقى الى منصب الملك وفتك ببضعة آلاف من المسيحيين الآمنين. أما أسلوبه فى تعذيب المسيحيين فيذكره الطبرى المؤرخ المسلم بقوله " خد لهم الاخدود،

(7) Origen, contra Celsum 6: 27, Justin, Martyr, Dialogue C. 17.

وحرق بالنار، وقتل بالسيف، ومثل بهم كل مثله" هذه العبارة المقتضبة، ذكرت مفصلة في المخطوطات السريانية.

شهداء نجران:

لما تملك ذو نواس اليهودى كتب لرؤساء القبائل المسيحيين فى حضرموت وسبأ وحزیه وتیمنه ونجران وغيرها من البلاد الخاضعة لسلطانه أن يحضروا لمدينة دياریدن، وتوجه هو لمدينة ظفار ریثما یجتمعون.

ثم حارب الاحباش (الارثوذكسيين) الذين كانوا فى ظفار واذ رأى انه لن يستطيع هزيمتهم فكر فى خداعهم بأن أرسل لهم كاهنا يهوديا واثنين من المسيحيين اسما. وحملهم رسائل الامان للاحباش انه سيأمنهم على أرواحهم ان سلموا له مدينة ظفار دون حرب واعدأ اياهم بارسالهم احياء الى ملك الحبشة. واذ خدعوا بوعدہ خرجوا اليه، وكان عددهم 300 رجلا، مع رئيس كهنة الاحباش أبابوت. رحب بهم الملك اليهودى وفرقهم على عظمائه ليقتل كل منهما الحبشى الذى فى حوزته. وأجهز على الجميع فى تلك الليلة.

وفى الصباح أرسل رجالا لحرق الاحباش الباقين المعتصمين بكنيسة ظفار. فأحرق الكنيسة ومن فيها وكان بها 200 رجلا من الاكليروس والعلمانيين. وبعد أن تم له ذلك أعلن الأضطهاد العام على مسيحي اليمن.

أوفد رسلا مع كهنة اليهود الى جميع البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين أينما وجدوا الا اذا انكروا المسيح وتهودوا. كما أمر أن يحرق مع بيته كل من يخفى مسيحيا فضلا عن مصادرة أمواله.

وكان باكورة من استشهدوا فى حضرموت القس ايليا وأمه وأخوها، والقس توما الذى كان قد بتر ذراعه الايسر بسبب اعترافه بالمسيح.

وأرسل الملك ثلاثة من كبار قواده على رأس كتيبة من الجنود لمحاربة أهل نجران المسيحيين فبارزوهم النجرانيون وطردهم بقوة السيد المسيح. ثم عاد فجرد حملة أخرى فتعرضت ثانيه للهزيمة. ثم قاد الملك بنفسه جيشا قوامه 120.000 من الجند وحاصر مدينة نجران أياما كثيرة ولما عجز عن فتحها بالحرب أوفد اليهم كهنة اليهود الذين من طبرية حاملين توراة موسى وكتاب الايمان مختوما بخاتم الملك اليهودى فحلفوا لهم بالتوراة ولوحى موسى و تابوت العهد واله إبراهيم واسحق وإسرائيل بأنه لن ينالهم أذى اذا سلموا المدينة طوعا وخرجوا اليه.

فوثق النجرانيون بهذه الوعود وخرج اليه ثلاثمائة شخص من الاشراف فرحب بهم فى بشاشة وتودد واكد انه سينفذ وعده ولن يضطهد احد بسبب مسيحيته

وتناولوا الطعام أمامه، وأمرهم أن يخرجوا اليه فى اليوم التالى ألف شخص فلما فعلوا فرقهم على قواده خمسين وخمسين وأمر كل منهم بأن يحتفظ بالأشخاص الذين يصلون اليه حتى اذا انتهوا من طعامهم او ثقوهم من ايديهم وارجلهم وجردوهم من سلاحهم. واذا اطمئن لتنفيذ خطته ارسل الجنود اليهود للمدينة للقبض على جميع المسيحيين الذين فى المدينة ليريهم عظام الشهداء الـ 1300 الذين نكل بهم ومن بينهم عظام مار بولس أول أسقف لمدينة نجران الذى سامه مار فلكسينوس اسقف منيج.

وكان بولس هذا قد استشهد على أيدي يهود طبريه رجما بالحجارة فى ظفار عاصمة بلاد اليمن فقد أدخل اليهود عظام الشهداء للكنيسة وكوموها فى الوسط ثم ادخلوا القسوس والشمامسة والايبيذياقونيين والاتاغنوسطسيين والنذراء والنذيرات والشبان والشابات وملأوا الكنيسة عن آخرها حتى بلغ عددهم الفين ثم جاءوا بالحطب ووضعوه حول الكنيسة واضرموا فيه النار فاحرقت الكنيسة ومن فيها.

استشهاد نساء نجران:

أما النساء لما شاهدن احتراق الكنيسة والكهنة سارعن قائلات هيا بنا لنتمتع برائحة الكهنة فكن يدخلن النار ويحترقن أما الشماسة اليشبع أخت مار بولس الاسقف الشهيد التى كان بعض المسيحيين قد أخفوها قسرا اذ علمت باحتراق الكنيسة والكهنة وعظام أخيها بالنار سارعت الى الكنيسة تنادى بصوت عال " ها انى معك يا أخى أمضى الى المسيح " واندفعت الى فناء الكنيسة فأذ رأها اليهود ظنوا انها لم تحتمل النار فخرجت الى خارج الكنيسة أما هى فأجابت كلا لم اخرج من الداخل بل جئت لأدخل واحترق مع عظام أخى ورفاقه الكهنة، فانى اشتهى أن أحترق مع عظام أخى الأسقف فى الكنيسة التى حرقت فيها وكانت فى السابعة والاربعين من عمرها.

فقبض عليها اليهود وجاءوا بحبال رفيعة وعكفوا رأسها وركبتيها كالجمال ولفوا عليها الحبال ووضعوا تحتها أوتادا خشبية وفتلواها بشدة حتى أنغرزت الحبال فى جسمها وعملوا شبه اكليل من الطين ووضعوه على رأسها مستهزئين قائلين "اقبلى اكليلك يا شماسة ابن النجارين " ثم عملوا الطين شبه قصعة وغلوا زيتا وسكبوه على رأسها ولما احترق رأسها كله قال اليهود " قد يكون باردا أنغليه ثانية. أما القديسة فاذا تعذر عليها الكلام من فرط الألم أومات اليهم وقالت أريد المزيد ثم اخذوها الى خارج المدن وعروها من ثيابها وربطوا حبالا برجليها وجاءوا بجمال من الابل الصعاب واخذوها الى البرية حيث ربطوا الحبال بالجمال وعلقوا به أجراسا خشبية لتدق فيثور الجمل ثم تركوا الجمل فى البرية فخطفها بحدة وعلى هذه الصورة استشهدت الطوباوية اليشبع الشماسة.

وقد روى الوافدين من نجران أن ثلاثة شبان من عشيرتها تدلوا من سور المدينة فى الليل وترسموا خطى الابل وساروا حتى التاسعة من النهار فوجدوا الطوباوية عند جزع شجرة قديم اتفق أن علقت به الحبال المربوطة برجليها فتوقف الجمل بعد أن التفت الحبال حول عنقه وخنق وهكذا استطاعوا ان يدخلوا جسدها - من المبذل (الذى يخرج منه ماء المدينة فى الشتاء) وأخذوا كتانا نقيا وبخورا وحنوطا ووضعوها فى حفرتة ووضعوا عليها علامة.

الشهيدة تهنه:

هذه اذ سمعت باحتراق الكنيسة أمسكت ابنتها أمه وهى نذيره وذهبتا للكنيسة للاستشهاد واذ رأتهما أمتها حزية سألتها الى أين أنت ذاهبة ياسيدتى فاذا علمت قصدتها صاحبتهاد ودخلن الثلاثة الى الكنيسة فاحترقوا بالنار.

وقد تم احتراق الكنيسة وعظام الشهداء والاسقف مار بولس والكهنة وجميع الشعب فى 15 تشرين الثانى اليوم الذى استشهدت فيه الشماسة اليشبع ورفيقاتها.

استشهاد رئيس قبائل نجران (الحارث بن كعب):

وبعد احتراق الكنيسة أحضر الملك الاعيان والاشراف الذين وقفوا أمامه مكبلين فسألهم لماذا تمردتم ولم تسلموا المدينة واتكلتم على ذلك الساحر المضل ابن الفجور (المسيح له المجد) وعلى هذا الشيخ الحارث ابن كعب الذى صار لكم رئيسا.

ثم قام الملك فنزع ثياب الحارث وأوقفه عريانا أمام شعبه وقال له الا تخجل من شيخوختك وانت الآن فى خزي عريك اجابه قائلا: أنا لا أخجل بعري جسمى لان المسيح الذى أعبدته يعلم اننى خير منك باطنا وظاهرا لم يحمل ظهري أثر للسيف أو الرمح مثله أما ذاك فى صدرى وقد انتصرت بقوة المسيح فى حروب كثيرة وقتلت فى الحرب أبا الجالس عن يمينك وهو ابن عمك.

فقال له الملك: انى اشير عليك ان تكفر بالمسيح والصليب رحمة بشيخوختك والا مت اشر مية.

اجاب الحارث : تذكر ايمانك باله ابراهيم واسحق وأسرائيل وبتوراتك واللوحين وتابوت العهد.

قال الملك: دع هذه جانبا وأكفر بالمسيح والصليب.

اجاب الحارث : انى متألم اكثر من جميع المسيحيين رفاقى لانى قلت لهم ولم يسمعوا لى فقد كنت متأهبا لمنازلتك فى الحرب من أجل شعب المسيح فاما قتلتنى أو قتلتك وكنت واثقا بالمسيح بانى أظفر بك بيد أن رفاقى منعونى فنويت أن اخذ بنى

عشيرتى وعبيدى وحدهم وأخرج لمانزلتك فأوصد المسيحيون رفاقى أبواب المدينة ولم يسمحوا لى بالخروج فقلت لهم أن يحتفظوا بالمدينة والا يفتحوا لك الابواب وكنت واثقا بالمسيح بأن المدينة لن تفتح. ولما أرسلت اليهم كلمة القسم نصحتهم الا يصدقوك.

ولم يسمع رفاقى لى، والآن تعرض على فى شيخوختى أن اكفر بالمسيح. أتريد بعد هذه السن أن أعيش غريبا عن المسيح. أرى انك لم تتكلم كملك ولم تفعل كملك لان الملك لا يكذب، لقد رأيت ملوكا كثيرين ولكننى لم أر ملوكا يكذبون. أما أنا فلى سلطان على نفسى، وبسلطانى هذا لا أكذب أمام المسيح، حاشا لى أن أنكر المسيح الاله الذى آمنت به منذ صباى واعتمدت باسمه بل اسجد لصليبه، وأموت من أجله. حقا أنى مغتبط اذ اهلتى المسيح فى شيخوختى أن أموت من أجله، الآن علمت انه يحبنى، أذ عشت طويلا فى العالم بنعمته، وقد أكثر لى المسيح فى هذا العالم بنين وأحفادا وعشيرة وبقوته انتصرت فى حروب كثيرة وفى هذا أيضا سأنتصر بقوة الصليب... الآن علمت حقا انى لن أموت الى الأبد... ثم التفت للمؤمنين الواقفين ورائه وقال أسمعتم فصرخ الشعب وقالوا لقد سمعنا فقال لهم أحق هو قالوا انه حق وعاد يكلمهم أ بينكم من يخاف السيف ويكفر بالمسيح اذن فلينفصل من بيننا فصرخ الشعب : حاشا لنا أن نكفر بالمسيح، تشجع ولا تتألم بهذا، أننا جميعا مثلك بل معك نموت من أجل المسيح.

ثم نادى أيها المسيحيون واليهود اسمعوا :

"اذا كفر أحد بالمسيح وعاش مع هذا اليهودى سواء كانت زوجتى ام أحد أبنائى أو بناتى أم من جنسى وعشيرتى فالكفر به أولى وليست لى شركة معه، ليكن كل ما أملكة للكنيسة التى ستبنى بعدنا فى هذه المدينة واذا عاشت زوجتى أو أحد أبنائى وبناتى بأية وسيلة كانت ولم يكفروا بالمسيح فليكن كل ما أملكه لهم. ولتخصص للكنيسة ثلاث قرى من ملكى تختارها الكنيسة نفسها.

ولما قال الشيخ هذا أمام الشعب التفت الى الملك اليهودى وقال:

حاشا لنا أن نكفر بالمسيح ربنا والهنا.

لا مانع من جهتنا أن نموت من أجل المسيح.

كفرا بكل من يكفر بالمسيح.

كفرا بكل من لا يعترف بأن المسيح هو الاله ابن الاله.

كفرا بكل من لا يعترف بصليب المسيح.

كفرا بك وبكل من يذعن لك وللإهود رفاقك.

ها أننا واقفون امامك فأفعل بنا مهما شئت أن تفعل.

ها انى اسم نفسى وجميع رفاقى كعادتنا بسمة الصليب الحية، باسم الآب والابن والروح القدس.

فصرخوا جميعهم آمين فأمين، ثم رسموا على انفسهم علامة الصليب وقالوا:

"تشجع يا أبانا ولا تجزع ها ان ابراهيم رئيس الآباء ينتظرك وايانا معك"

فلما رأى الملك أنه لا سبيل لكفرهم بالمسيح أمر أن يساقوا الى الوادى حيث تحز رؤوسهم وتلقى اشلاؤهم، وفى الوادى بسطوا أيديهم للسماء وصلوا قائلين:

"أيها المسيح الهنا هلم الى معونتنا وقونا وتقبل نفوسنا، ليطب لك دم عبيدك الذى يسفك من اجلك، أهلنا لمشاهدتك، ها اننا قد اعترفنا بك كما علمتنا فاعترف بنا أنت أيضا أمام أبيك حسب وعدك. وابن هذه الكنيسة التى احرقها اليوم هذا اليهودى.

وبعدما عانقوا بعضهم بسط الشيخ الحارث بن كعب يده وصرخ:

"سلام المسيح الذى أعطى الى اللص فى الصليب ليكن معنا أيها الاخوة".

وجثا الشيخ على ركبتيه وقد أمسك به رفاقه يسندون يديه كموسى فى قمة الجبل فضربه القاتل وحز رأسه وهكذا استشهدوا جميعا.

استشهاد طفل فى الثالثة من عمره:

وكانت أمه خارجة للاستشهاد وكانت ممسكة بيده فلما عاين الطفل الملك جالسا لابسا ثيابا ملكية ترك أمه وجرى فقبل ركبتى الملك واخذ يهش له فقال الملك للطفل: ماذا تريد؟

الطفل: أريد أن أموت مع أمى اذ قالت: هلم نمضى ونموت من أجل المسيح لان ملك اليهود أمر أن يموت كل من لا ينكر المسيح.

الملك: ومن أين تعرف المسيح؟

الطفل: أنا وأمى نراه كل يوم فى الكنيسة واذا جئت الى الكنيسة فساريك اياه.

الملك: أتحنى أم تحب امك؟

الطفل: انى أحب أمى أكثر منك.

الملك: اتحنى أم المسيح؟

الطفل: انى احب المسيح اكثر منك لانه خير منك.
الملك: ابق عندى فأعطيك جوز لوزا وتينا ومهما طلبت.
الطفل: لا والمسيح لا آكل جوز اليهود ولا أمى تأكله.
الملك: لماذا؟
الطفل: لان جوز اليهود هو نجس
الملك: أنا خير لك من المسيح.
الطفل: لا وحياة سيدنا لن أكفر بالمسيح ماذا تكون انت؟
الملك: أنا أكفر بالمسيح.
الطفل: أنت اذن يهودى دعنى أمضى الى أمى قبل أن تموت وتتركنى فيأتى اليهود
ويأخذونى دعنى أمضى والا ضربتك وقلت لأمى انك كفرت بالمسيح فتضربك
هى الاخرى.
الملك: ولما أتيت وقبلت ركبتى؟
الطفل: لانى ظننت انك الملك المسيحى الذى رأيتة فى الكنيسة فلو عرفت انك يهودى
لما أتيت اليك.
الملك: أبق عندى وستكون لى ابنا.
الطفل: لا... والمسيح لا ابق عندك لان رائحتك كريهة وأن رائحة أمى لاذكى من
رائحتك.
فقال الملك للواقفين: تأملوا هذا الاصل الرديء، كيف يتكلم منذ طفولته تبصروا
كيف استطاع ذلك الساحر المضل أن يضل حتى الاطفال، فقال أحد الوزراء للطفل:
الوزير: تعال معى فأخذك الى الملكة فتصير لك أما.
الطفل: تبالك.. وحياة سيدنا المسيح ان أمى خير لى من الملكة، لانها تأخذنى الى
الكنيسة، أما الملكة فلا تأخذنى الى الكنيسة. ولما رأى الصبى ان الملك لا يدعه،
عضه على فخذة وقال له أتركنى أيها اليهودى الشرير، أتركنى لأذهب الى امى
أتركنى فها ان أمى تموت وأريد أن أموت معها.
فأخذة الملك وسلمه الى أحد الوزراء قائلا له: احتفظ به ومتى بلغ أشده فاذا
كفر بالمسيح عاش والا مات فحمله خادم ذلك الوزير وهو يبكى ويرفس برجليه
وينادى أمه قائلا:
سيدتى سيدتى هوذا اليهود يأخذوننى، هلمى وخذينى لارافك الى الكنيسة.

وكانت أمه تتطلع اليه فنادته قائلة:

أذهب يا ابني أننى أستودعك المسيح، لا تبك، سأتى اليك، أذهب وانتظرني فى الكنيسة عند المسيح حتى آتى.

وعندما قالت هذا قبض عليها يهودى بيدها وأدارها والقى بها بين النساء ثم ضربها بكعب الرمح بين ثدييها فسقطت على الارض وماتت.

استشهاد نساء نجران:

ثم قال الملك للنساء:

الملك: لقد عاينت ان ازواجكن قد قتلوا جميعا لانهم رفضوا انكار المسيح وجدفوا قائلين ان المسيح اله وابن ادوناي فاشفقن على أنفسكن وبنينكن وبناتكن واكفرن بالمسيح والصليب فتصبحن يهوديات والا متن موتا.

النساء: ان المسيح هو الاله وابن الرحمن به نؤمن وله نسجد ومن اجله نموت حاشا لنا أن نكفر به أو نعيش بعد أزواجنا لكننا نظيرهم ومعهم نموت من أجل المسيح.

فأمر الملك أن يأخذوهن الى الوادى ليقتلن هناك، فكن يركعن ويزحمن بعضهن بعضا وكل منهن تريد أن تموت أولا، أما الملك المنافق فكان يسخر منهن، وهكذا تكلن جميعا بالسيف يوم الاربعاء 16 من تشرين الثانى سنة 523 م.

استشهاد الاماء:

وبعد استشهاد كل النساء بقيت الاماء، حاول الملك أن يردهن عن عبادة المسيح وحدث بينهم الحوار الاتى:

الملك: لقد رأيتن أن اسياذن وسيداتكن وانسباذن قد ماتوا شرميته لانهم أبوا الكفر بالمسيح والصليب فاشفقن أنتن الآن على أنفسكن واسمعن لى فتصبحن شريفات وأزوجكن من رجال أشراف.

الاماء: حاشا لنا أن نكفر بالمسيح وبالصليب وحاشا لنا أن نبقى فى الحياة بعد أسياننا ورفاقنا أننا لنموتن معهم ومثلهم من أجل المسيح وحاشا لنا أن ندعن لكلامك.

فلما رأى الملك ذلك أمر أن يذهبوا بهن الى الوادى وهناك يقتلن فتكلن جميعا بالسيف.

استشهاد مانحة أمة الشريف الحارث بن كعب:

كانت مانحة شريرة فى حياتها منبوذة من الجميع وكانت جريئة بحيث خافها أسيادها أنفسهم بسبب شرها، ولما سمعت عن هذه المذبحة هرولت الى الشارع وانزرت كالرجال وصاحت:

أيها الرجال والنساء المسيحيين "انه لوقت أن توفوا فيه للمسيح ما أنتم مديونين به له، فاخرجوا وموتوا من أجل المسيح كما مات هو من أجلكم، فمن لا يخرج اليوم الى المسيح فليس هو له ومن لا يستجيب اليوم للمسيح فلن يستجاب له غدا فغدا يغلق الباب ولن تدخلوا اليه، انى اعلم أنكم تبغضوننى لا والمسيح لن أكون لكم عدوة منذ اليوم تطلعوا الى وأنظروا فانه ليس حولى شر ولا خلفى" وظلت هكذا حتى مثلت أمام الملك.

فلما رآها اليهود الذين كانوا يعرفونها قالوا للملك هوذا شيطان المسيحيين.

مانحة: لك أقول أيها اليهودى الذابح للمسيحيين قم واذبحنى أنا أيضا لانى مسيحية؟ أننى أمة الحارث بن كعب الذى قتلته قبل يوم لا تظن انك قد غلبت سيدى بل سيدى هو الذى غلبك. اجل.. انك غلبت لانك كذبت أما سيدى فقد غلب اذ لم يكذب ويكفر بالمسيح. انى أقول لك لو شاء سيدى لمعسك كالذباب.

فأمر الملك بأن يعرفوها من ثيابها، فقالت للملك:

أنك فعلت هذا لخزيك ولخزى اليهود رفاقك، أما أنا فلا استحي اذ كنت قد أتيت هذا الامر مرات عديدة من تلقاء نفسى لاننى امرأة كما خلقتى الله أما أنت اذ تعرضت للحرب مع الاحباش أستنجدت بجحشون التاجر الذى انبرى يحلف بدلا منك بالانجيل المقدس إنك مسيحي وبهذه الوسيلة نجيت أيها اليهودى من الموت، هكذا عيرت هذه الامة الملك وأمر الملك فجاءوا بثور وحمار ثم ربطوا برجليها حبالا وربطوا الرجل الواحدة بالثور والاخرى بالحمار ثم تناول اليهود عصيا وأخذوا يضربون الثور والحمار معا وطاقوا بها شوارع المدينة ثلاثا حتى اسلمت روحها بالشهادة من أجل المسيح ثم جاءوا بها مقابل باب المدينة الشمالى تجاه قصر سيدها الحارث حيث كانت شجرة ضخمة علقوها بها منكسة الرأس حتى المساء وكان اليهود يرشقونها بالحجارة والسهام، وفى المساء أنزلوها عن الشجرة وسحلوها ثم طرحوها فى الوادى.

استشهاد الشريفة روهوم بنت أزمع:

وبعد ثلاثة ايام من مقتل الشريفات والاماء أى يوم الاحد أرسل الملك الى روهوم بنت أزمع زوجة الشريف الحارث بن كعب يقول لها اذا كفرت بالمسيح عشت

والا مت فلما سمعت كلماته نزلت الى الشارع صارخة قائلة "اسمعن أيتها النساء النجرانيات المسيحيات رفيقاتى وغيرهن من اليهوديات والوثنيات انكن تعلمن اننى مسيحية وتعرفن جنسى وعشيرتى ومن أنا وأن لى ذهباً وفضة وعبيدا واماء وغللات ولا يعوزنى شئ والآن وقد قتل بعلى من أجل المسيح فاذا شئت أن أصير لرجل لا يعسر على ايجاد رجل وأنه عندى اليوم أربعين الف دينار فى خزينتى ما عدا خزينة زوجى وحلى وجواهر وحجارة كريمة رآها بعض منكن فى بيتى، وانتن تعرفون انه ليس للمرأة ايام فرح مثل يوم زفافها ومنذ ذلك الحين تلازمها الضيقات والآلام فحين تلدا أولاد تلدهم بالبكاء وحين تحرم من ولادة أولاد تكون فى ضيق وحزن وكذلك حين تدفن أولادها أما أنا فمنذ اليوم سأتبقى فى فرح أيام عرسى الاول وهوذا بناتى الثلاث قد زينتهن للمسيح بدلا من زواجهن فانظرن الى انكن ترين وجهى مرتين اى فى زفانى الاول وفى هذا الثانى ايضا فقد دخلت مرفوعة الجبين. أمام جميعكن الى خطيبى الاول والآن ايضا أذهب مرفوعة الجبين الى المسيح ربى والهى واله بناتى. وها أنا أذهب للمسيح ربى دون أن ادنس بكفر اليهود.

وليكن جمالى وذهبى وفضتى وعبيدى - وأمائى وكل مالى شهودا بانى لم أفضل محبتها على الكفر بالمسيح، وحاشا لى أن أكفر بالمسيح الهى الذى أمنت به واعتمدت وعمدت بناتى باسمه وأنا أسجد لصليبه ومن أجله أموت أنا وبناتى مثلما مات هو من أجلنا ها انى أترك ذهب الأرض للارض...

وليكن دم اخوتى واخواتى الذين قتلوا من أجل المسيح سورا لهذه المدينة اذا ثبتت مع المسيح ربى. صلين من اجلى. ثم خرجت من المدينة ووقفت أمام الملك وهى تمسك بنتاها بيديها ثم صاحت روهوم للملك: اننى وبناتى مسيحيات ومن أجل المسيح نموت فاقطع رؤوسنا.

الملك: قولى فقط أن المسيح هو انسان وأبصقى الصليب وامضى الى بيتك انت وبناتك.

أما حفيدة الطوباوية روهوم وكانت فى التاسعة من عمرها اذ سمعت هذا الكلام ملأت فاها بصاقا وتفلت على الملك وقالت للملك: يعلم المسيح أن جدتى أشرف من أمك وعشيرتى أنبل من عشيرتك الا فليسد فوك أيها اليهودى القاتل ربه.

ثم أمر الملك فألقوا جدتها على الارض ولتخويف جميع المسيحيين ذبحت عليها هذه الفتاة فسال دمها فى فم جدتها ثم ذبحت ابنة الطوباوية واسمها أمه و سال دمها أيضا فى فم أمها ثم أقامها الملك من على الارض وسألها.

كيف تذوقت دم ابنتيك أجابت أنى تذوقته كقربان طاهر لا عيب فيه فأمر فحز رأسها فى الحال وقد نالت اكليل الشهادة وابنتها وابنة ابنها يوم الاحد 20 تشرين

الثانى.

استشهاد عربى:

وفى يوم الأحد 20 تشرين الثانى 523م حفر اليهود حفره فى الأرض ووضعوا فيها رجلا اسمه عربى بن دويل من عشيرة جو ولما أبى أن ينكر المسيح طمروه بالتراب حتى صدره وأخذ اليهود يرشقونه. بالسهم فى كل الاتجاهات حتى ملأوا صدره ووجهه وظهره. وهو يعلن تمسكه بالمسيح الى أن أسلم الروح.

استشهاد ثلاث نساء نجرانيات:

وفى يوم الاثنين 21 تشرين الثانى 523م استشهدت حبصه ابنة حيان ابن حيان الكبير الذى نشر المسيحية فى بلاد نجران ومن أمر هذه الطوباوية انها اذ علمت بما حدث للنساء النجرانيات بواسطة اليهود الصالبيين من أجل اعلانهن الايمان بالمسيح. حزنت جدا اذ أنها لم تكن معهن وتضرعت الى ربنا يسوع المسيح ان يجعلها أهلا لتكون واحدة من هؤلاء الذين أحبوه واستشهدوا من أجل اسمه. وفى اليوم التالى لشهادة النساء النجرانيات قامت الطوباوية حبصه وأخذت صليبها النحاس الصغير وخاطته فوق مفرقها (رداء للرأس عند الاعرابيات) ونزلت الى الشارع وأخذت تصيح أنها مسيحية. ثم تبعتها امرأتان شريفتان عجوز وشابة اسم كل منهما حيه كما اجتمع حولهن كثيرون من أهل نجران رجالا ونساء.

فتطلعت اليهن حبصه ورأت جارا لها كان يهوديا فنادته قائلة: "أيها اليهودى الصالب، انكم تكفرون بالمسيح وتقولون انه ليس الها لكنى أمنت بسيدى يسوع المسيح ربا والها وارجو أن تبلغ مسروق ملكك الصالب ربه".

واذ بلغ الملك ما قالته استدعاها واذ سألها عن ايمانها أجابته "أنا ابنة الشريف حيان الذى نشر المسيحية فى بلادنا" فقال لها الملك وهل أنت مسيحية مثل أبيك. ام انك تتعقلين وتكفرين بالمسيح وتتهودى مثلنا.

اجابت الطوباوية لنا وطيده الأمل فى عدل يسوع المسيح ربنا والها انه سيقضى على سلطانك عاجلا ويذل كبريائك ويستأصل مجامعكم من بلادنا وتبنى فيها كنائس مقدسة فتزدهر المسيحية ويعلو الصليب.

فتميز الملك اليهودى غيظ وأمر فائقوا صليباً أمامه ووضعوا الى جانبه اناء ملئ بالدم وقال لها اجحدى المسيح وابصقى فى هذا الصليب وخذى من هذا الدم وقولى: ان المسيح انسان مات مثل جميع الناس، وتهودى مثلنا فأزوجك رجلا شريفا واسامحك عن كل ما نطقت به.

قالت حبصه: ليستد فمك يا من جدف على خالقه لا يكون لك وارث ليشتم خالقه، أيها الصالب ربه. هل تظن بأعمالك هذه أنك تستطيع أن تفنى المسيحية في بلادنا. اسمع انى أعلن أن المسيح ليس انسانا لكن هو الاله المتأنس انى أسجد له وأشكره من أجل كل احساناته لى انى أومن أنه الله خالق كل البرية وانى احتمى بصليبه وأعلم انى لا أهتم بعذاب، فهات ما عندك و نظرت الى رفيقيها فأمنا على كلامها.

فأمر مسروق الملك اليهودى أن تربط سيقانهم بأفخاذهم وربطت أجسادهم بالحبال حتى سمع صوت عظامهم التى كانت تتخلع. ثم رفعوا الصليب الذى كان على رأس حبصه وقال لها الملك اليهودى الاثيم:

هل ظننت أن هذا الصليب سيخلصك من يدي ولطمهن على وجوههن بكل عنف وشدة وصاروا يضربون على افواههن حتى تعذر عليهن الكلام. واذ لم تستطع العجوز أن تقاوم طويلا سقطت ميتة.

ثم اتى بالشريفتين حبصة وحيه وجلدهن على ظهورهن ثم أتوا بجملين ربطوا كل منهما بحبل وأطلقوهما فى البرية فسار الجملان نحو اثنتى عشر ميلا وقد انقطعت الحبال وظلت الاجساد ملقاه فى البرية بعد أن فارقتا الحياة.

ولم يكتف مسروق عدو الحق بهذا فقد صمم ألا يترك فى نجران امرأة مسيحية الا وقتلها فأمر قائده ذا يزن أن يدخل نجران ويجمعهن اليه وتمكن من جمع نحو مائة واثنين وعشرين سيدة أستشهدن جميعا بعد اعترافهن بالسيد المسيح.

تعداد شهداء هذا الاضطهاد:

ذكر الطبرى المؤرخ الاسلامى نقلا عن ابن اسحق أن ذا نواس قتل من أهل حمير وقبائل اليمن المسيحيين ما يقرب من عشرين الفا ولكن الوثائق السريانية التى سجلت هذا الاضطهاد تقول ان عدد الشهداء بلغ 4000 نفس من الاكليروس والعلمانيون والشبان والشابات والرجال والنساء والاطفال وهؤلاء الشهداء هم الذين عناهم القرآن بأنهم أصحاب الاخدود وجاء ذكرهم فى سورة البروج وقد سماهم مؤمنين وقد نظم مار يوحنا بسلطوس رئيس دير قنسرين (600م) نظم نشيدا كنسيا "فى الشهداء الحميريين القديسين الذين استشهدوا فى نجران جنوب بلاد العرب حيث كان مسروق اليهودى ملك العرب يضطهد مسيحي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بالمسيح وفيما يلى النشيد الكنسى الذى كتبه:

" ليقل مخلصوا الرب انك عظيم وصانع العجائب من يقدر أن يصف عجائبك أيها المسيح الاله فما ان بلد الحميرين اذ اتقدت بمخافتك تطلع فاقتدى بايمان القبطيين لان سبسيطة فى جهاد واحد فى بحيرة الماء أثناء البرد القارس كملت

بالشهادة أربعين شخصا، ونجران أقتدت بها وفاقتها خمسة أضعاف وأنجبت لنا أكثر من مئتي مجاهد تشرفوا فى الاستشهاد كان أولهم المعلم الحارث فبصلواتهم امنع يارب الشكوك والعثرات من الكنيسة وادحض جميع الهرطقات وثبتنا فى الايمان بك واحصنا بين مختاريك ونجنا ياربنا يالطيفا بالعباد".

وهذا نذر يسير مما نقله الاشراف المؤمنون القادمون من نجران اما هذه فقد كتبت لتسبيح الثالوث الاقدس والى تشجيع المؤمنين وتثبيتهم ابان الشدة فقد صار البرابره قرييون للمسيح وزهدوا فى ذهبهم وفضتهم وكل مالهم واذ رأينا النساء يسارعن للاستشهاد بشجاعة منقطعة النظير من أجل المسيح فبالاخرى يجب علينا ان نترك مقتنياتنا متطلعين للأبدية لان الاشياء التى ترى وقتية أما التى لا ترى فأبدية.